

الخبيس 07-02-2008

## 160- نجيب محفوظ: قراءة فى أحلام فترة النقااة

الحلم (31)، الحلم (32)  
حلم 31

أمتطى حمارا يسير في وسط الحقول خطوات رتيبة وأنا خال من المشاعر تحت أشعة شمس الخريف وثرامى إلينا نباح كلب فتوقف الحمار فنخسته بكعبى فعاد إلى السير ويعود النباح فأحدد بصرى لأرى الرجل الذى أقصده. وظهرت امرأة محاطة بالعديد من الكلاب فهتفت فيها لتكف عن النباح فأذعنت، لها فسلمت، وقلت إنى قادم لمقابلة الشيخ بناء على خطابين متبادلين. قالت المرأة إنها صاحبة الأمر الأخير وأنها تستطيع أن تقدم الخدمات المطلوبة كما تستطيع أن تفنى من تشاء إن حرضت عليه الكلاب.

فقلت إننى جئت للسلام لا للحرب وإنى أريد عملا. وأشارت إلى فنزلت عن ظهر الحمار ووقفت أمامها فى خشوع وسارت وتبعتها ومن خلفى الحمار تحيط بنا الكلاب ووقفت أمام مبنى صغير فتوقف الركب كله وأمرتنى بالدخول فدخلت وقالت لى أن أنتظر فى الداخل وحذرتنى من الخروج إلى الكلاب التى لا ترحم فسألتها حتى متى ألى. وماذا عن العمل. وأن الشيخ وعدنى خيرا ولكنها لم تحفل بكلامى وامتطت الحمار وذهبت تاركة الكلاب حول المبنى. وكانت ترسل إلى باحتياجاتى مع رجال أشداء ولكنهم لا ينبسون بكلمة وأفكر أحيانا فى الدخول مع الكلاب فى معركة حياة أو موت. ولكن يتغلب الأمل فانتظر.

\*\*\*

## القراءة

لأول مرة يظهر الحمار فى أحلام النقااة، (ونادرا ما يظهر فى أعماله عامة).

نجيب محفوظ قاهرى حتى النخاع،

لم أشاهد مسلسل حكاية بلا بداية ولا نهاية، ولكنهم حكاى لى أنه انقلبت بعض أحداثه لتدور فى الريف المصرى، حين أخبروا الأستاذ عن ذلك ضحك ضحكته الجليلة، ولم يعقب.

الخمير الذي ظهر هنا لم أستطع أن أتبين دلالاته، تذكرت للتو أن الخمير والكارو في القاهرة كانت وسائل مواصلات ونقل حيث نشأ محفوظ وعاش رديحاً من عمره، ظهور الخمير هنا سواء كان قاهريا أو منوفياً، وصلى منه - بعد الانتهاء من قراءة الخلم عدة مرات- دلالات رفضت أن أثبتها إلا بالإشارة من بعيد، من بينها الصبر، والبطء، والتحمل، واحتمال المهانة بغير وجه حق، والحكمة حين يستنطقه توفيق الحكيم وغيره، ثم اتهامه ظلماً بالغباء، ولم أجدني متحمساً لأى منها، ولا رافضاً لأى منها.

الخطوات رتيبة هادئة لكن المشاعر غائبة، الأقرب أن المشاعر غابت لغموض الموقف، وخطر التوجه، وطول الصبر، وألعاب التأجيل والتسويف.

هل المرأة هي جولدا مائير أو كونداليزا رايس، أحسب أنها الأولى، وبرغم أنه هو الذى ذهب بمماره إليها، صابرا وهو يخلى نفسه من مشاعر قد تعوق رحلته، برغم ذلك لم تعطه المرأة الأمان، بل تنكرت للاتصالات السابقة، وأفهمته أن الأمر كله بيدها هي، مدعومة بكلابها المفترسة.

أعلن نيته بوضوح وهو يكتّم ألمه، السلام لا الحرب، حتى ولو أدى الأمر إلى أن يكون تابعا، عاملا عندها، أو عند من تشاء، لكنه برغم "خشوعه"، وتبعيته، لم يجد العمل الموعود لا عندها، ولا بأمرها، وأصبح انتظاره بالداخل هو السجن ذاته، وانتزعت منه حتى وسيلة الرجوع (أو التراجع) لأنها "امتطت الخمير وذهبت"

لم تحفل المرأة بوعد الشيخ، سواء كان كسينجر أو بوش، أو كل من يعد كذبا بما لا يملك، أما الكلاب الجاهزة للحرب والإفناء فهي تترى بالخارج طول الوقت. وهي تنتظر إشارة منها مع أنه جاء للسلام مطيعا يطلب العمل بعد أن صدق وعود الشيخ.

فهو سجينٌ داخل قراره، طريق العودة.

ها هو الفتات يُلقى إليه بواسطة رجال أشداء لا ينبسون بكلمة، وهل عاد ثمّ مجال للكلام؟ والكلاب تتحلق حول محبسه جاهزة للانقضاض والافتراس.

أعزل، معاق، غير مسموح له إلا بالتفكير - أحيانا - في معركة حياة أو موت، مع الكلاب!

يتغلب الأمل،

أى أمل وهو في هذا الموقف؟

فينتظر،

ماذا ينتظر؟

إلى متى؟

برغم موقف محفوظ الواقعي المتألم المعلن وهو يقبل السلام واقعا مرًا لنبدأ من حيث نحن، إلا أن هذا الحلم يجعلنا نتساءل:

هل كان داخل داخله يرى عمق الموقف الحقيقي الأكثر إيلاها بهذا الوضوح، فيكمن حتى يظهر هكذا في هذا الحلم الابداع، بعد طول هذه السنين؟

جائز!

وجائز: لا!!!

\*\*\*

### حلم 32

حدثني الزميل القديم إنه ذاهب للعمل في اليمن وقال لي إن ثمة كلاماً يدور حول دعوتي للعمل في اليمن وحثني على القبول فوعدت بالتفكير في الموضوع دون أن أبدى أي حماس له. وفي البيت الذي أعيش فيه وحيداً مع كلبتي فكرت في الأمر على غير المتوقع. وشجعتني على ذلك نفوري من كلبتي الذي تولد منذ أخذ وجهها يتغير ويتخذ صورة وجه إنسان. كانت كلبية خالصة جذابة ومسلية أما بعد التغيير المذهل فلم تعد كلبية ولا بلغت أن تكون إنساناً، وسرعان ما أجد نفسي في حجرة مكثي في اليمن وسكرتيري الخاص واقف بين يدي، وكانت الحرارة شديدة، فسألت السكرتير عن حال الجو في هذا البلد فقال لي إنه دافئ شتاءً وشديد الحرارة بقية فصول السنة ولكن المبنى مرتفع جداً وكلما ارتفع تحسن الجو وأنه ما على كلما ضقت بالجو إلا أن أكتب التماساً للمدير للنقل إلى طابق أعلى. سررت بعد اكتشاف وقمت إلى النافذة ونظرت إلى أعلى فرأيت المبنى عظيم الارتفاع حتى خيل لي أنه يلامس السماء.

ورأيت رءوساً تطل من النوافذ العالية فارتعش قلبي لرؤيتها إذ رأيت فيها وجوه أحبة الزمان الأول. سررت سروراً لا مزيد عليه وحمدت الله على قبول الدعوة للعمل في اليمن السعيد.

\*\*\*

### القراءة

اليمن هنا ليس بلداً، هو اليمن السعيد.

نجيب محفوظ لم يسافر في حياته، على ما أذكر، إلا إلى اليمن وأظن إلى يوغسلافيا، ثم للعملية الجراحية في الشريان الأورطي في المملكة المتحدة.

الدعوة هنا هي إلى الأمل/الحلم السعيد المتطاولة بنيانه حتى تلامس السماء،

هي نزوع فرار من هذه الدنيا المعتوهة بعد أن رقص إنسانها على السلم، فلا هو ظل حيواناً خالصاً مروّضاً (جذاباً،

